

كيف أصبح العنف مملكة للظلام غير قابلة للاختراق

المؤرخ الألماني يورج بابرؤفسكي: إذا منحنا العنف مزيدا من الوقت أصبح سلطة



هل ممارسو العنف مرضى نفسيون (لوحة للفنان سيروان باران)

يعرف أصحاب السلطة الإيجابية عن هذا السؤال فقط عندما يراقبون ما يحدث بعد انتهاء العنف الذي مارسوه على الآخرين، فلن يكون بمقدور الأشخاص الذين شهدوا الترويع، أن يفعلوا أي شيء آخر سوى التفكير في العنف الذي عانوا منه وأن يتأقلموا مع عودته. ولطالما أدرك الطغاة حتمية استمرار تهديداتهم بالعنف إذا أرادوا إرساء السلطة؛ لأن سلطتهم تستند إلى قدرتهم المبرهنة على إلحاق الأذى والقتل، وأيضا إلى رغبتهم واستعدادهم وقدرتهم على تكرار ذلك مرات ومرات، فما إن يظهروا ضعفا، حتى ينتهي أمر سلطتهم.

لأنهم لا يرغبون في أن يصيبهم ما ألمّ بغيرهم. إلا أن العنف، الذي يسعى لإرساء السلطة، يحتاج إلى فترات استراحة، فالتهديدات تصبح واهية عندما لا يصبح لدى الأشخاص المحكوم عليهم بالموت أي شيء يخسرونه سوى حياتهم، والعنف الذي لا يكون أكثر من مجرد صفة وقر، لا يؤسس سلطة راسخة، إذ ليس بمقدور صاحب السلطة أن يعرف ما إذا كان بوسع الأطمئنان لاستقرار سلطته، وما إذا كانت الرعية المقموعة ستستمر في الخضوع عندما لا يوجد من يستخدم العنف ضدها، إلا بعد توقف هذا العنف، وبعده، فيتحول من شهداء العنف بما يكفي ليمنح الرعية من المقاومة؟

كانت تخدم أغراضا مفهومة، حتى أن مساعدي هتلر أشاروا أمام محكمة نورينبرج إلى أوامر حتمية اضطروا لتنفيذها ولم تكن لهم حيلة في ذلك، حيث صاح القائد السابق للقيادة العليا لقوات الدفاع فيلهيلم كاتيل أمام المحكمة، قائلا: ماذا كان بإمكانني أن أفعل؛ فالضابط لا يستطيع مناقشة قائده، الأمر الأعلى، ومعارضته، ليس بوسعا سوى تلقي الأوامر وطاعتها". يرى بابرؤفسكي أن العنف يتحول إلى سلطة ما إن يمنح المزيد من الوقت، وتتضح تأثيراته في الوقت الذي يقع قبله وبعده، فيتحول من شهداء العنف بفعل خوفهم إلى دمي تحت تصرف السلطة؛

بشر- أن يعتقدوا أنهم تعرضوا للظلم حين تم إلقاء القبض عليهما، وأنهما يجب أن يخلى سبيلهما بمجرد استنكاف الخلق؛ ألم يدركا ما كان يدور حولهما؛ تبدو الحالة من الوهلة الأولى واضحة، فالجنحة لم يروا ما راه الأخرى، ولم يعتبروا هذا غير معتاد، لاسيما ضرب البشر ورميهم بالرصاص وإلقاء جثامهم مثل القمامة، ولكن أتى لنا أن نفهم أن هذين الرجلين لم يشعرا بأي شيء؛ أما نحن فقد وقفنا مشدوهين بمجرد أن سمعنا عن أفعالهم وجرائمهم". ويشير إلى أنه بعد الفعلة تأتي ساعة التبرير، فالجنحة أنفسهم يوارون أصل العنف وفحواه؛ لأنهم يسوقون دوما أسبابا لجرائمهم، تسمح لهم بأن يضعوا أفعالهم ضمن منطق سلوك المجتمع المسالم، فعندما تنتهي

المواجهات الجسدية وحالات الاغتصاب والإضطهاد والمذابح والحروب ويحظر العنف ثانية، فإن الدافع الوحيد الذي يمكن سرده حينها هو فقدان الجاني والضحية عقليهما، وهو ما يجعل العنف يبدو كاضطراب عابر أو مؤقت، فالإنسان يستعين بالإشارة إلى الدوافع والحتميات بغرض تجاوز الإثارة والبلبلة التي أطلقت للعنف العنان.

ويجبل الجنحة المسألة دائما إلى حالة طوارئ إصدار الأوامر، إلى مقتضيات حتمية أو إلى التواع القاتلة التي كانت ستطرأ لو عارضوا أوامر القتل، بعضهم يستعين بالقيم العليا ومفاهيم الشرف، وبعضهم الآخر يصرح بأن شرف الضحايا لا تترك لهم الخيار، فيعتين عليهم أن يصغوا ما ارتكبه بحق ضحاياهم بالعقلانية أمام أنفسهم وأمام الآخرين. وإذا تعرضوا للمساءلة بعد انتهاء العنف، فإنهم يحاولون أن يسوقوا أسبابا مفهومة حتى يترك الجميع لماسدا لم يتمكنوا من التصرف بشكل مغاير، وحين ينتهي الاعتداء الوحشي ويعم السلام لا يمكن وصف العنف إلا بأنه استثناء للقاعدة.

العنف والسلطة

يشدد الكاتب على أن "من يقر أمام المحكمة بأنه أمر بقتل أناس بدافع اللامبالاة، أو لغرض ما أو انطلاقا من دوافع متدنية أو حتى فقط لرغبته في ذلك فهو يدين نفسه لا محالة، لذا لطالما قدم أعوان الدكتاتوريين والطغاة بعد انتهاء أعمال الاعتداءات الوحشية مبررات لإثبات أن إرشاداتهم وأوامرهم

رغم أن العالم لا يسكنه الأشرار فقط، ينتشر العنف في كل مكان، يتضارب الناس ويتقاتلون مبررين ذلك بدافع الطاعة، أو لكونهم مجبرين، أو بحكم العادة، أو بدافع السعادة، أو لأنه تتعين عليهم مواجهة من يمارس العنف، فمن الواضح أن الأمر لا يتعلق بالنوايا والقناعات بل بالإمكانات. وهذا ما يدرسه الكاتب والمؤرخ الألماني يورج بابرؤفسكي.

معتاد يصبح من شؤون الحياة اليومية، ما إن تطأ قدمك مواطن العنف حتى تعرف أنه لم يعد أي شيء كما كان.

ويستشهد بابرؤفسكي بما كتب الجندي ويلي ريس حيث يقول "إنه لم يستطع مطلقا نسيان وحشية العنف، والتي كان شاهدا عليها، فقد نظر إلى قاع الروح الإنسانية ولمس فظائع الحرب بكل خلجاته، وكان قد أتى إلى روسيا من مملكة السلام والرخاء، ليغادر البلاد ثانية بوصفه موصوما".

ويعلق "ريس، المهوس بالكاتب، مرهف الحس، أصبح شخصا آخر، منذ أن رأى الجحيم، وقتل نساء وأطفالا، وأمر جنود الأعداء بوابل رصاص، لقد قتل بشكل الي ودون أدنى تعاطف، كي يتمكن من النجاة من الحرب وكي ينقذ حياته، ولكنه باح لدقتر مكراته مرة قائلا:

إلا أنني لم أجد الهدوء ثانية، ولم أجد طريق العودة لذاتي مرة أخرى، إذ ظلت الذكريات تطاردني مثل اللعنت، حتى أنني كنت أعيش فظائع حرب الشتاء مرارا وتكرارا، وأسمع دوي الذائف وصراخ الجرحى، ورأيت الجنود يتدافعون ويتهاونون ويلقون حنقهم، ورأيت نفسي مثل شخص غريب في قذري على هامش بلد المجهول".

ويضيف بابرؤفسكي "كان هذا أيضا لسان حال الجنود البريطانيين الذين لم يتمكنوا مطلقا من نسيان ما راوه في معسكر الاعتقال النازي بيرجن بيلزن، وحاولوا أن يفهموا ما دفع رجال مثل جوزيف كرامر إلى ارتكاب فظائع لا يمكن تبريرها بأي حال من الأحوال، لم يستطع هؤلاء الذين راوا الحرب ولمسوا الموت فهم ذلك، ربما كان بالإمكان فهم تحول أمر معسكر اعتقال أوشفيتس - بيركناو، وبيرجن بيلزن ورئيس ليبيريا إلى مجرمين ساديين أو وحوش، ولكنهم لم ينطبق عليهم مطلقا ما يعتبر في العادة مبررا لنشأة العنف، إذ لم يكن كل من

تأيلو وكرامر مريضين نفسيين، لم يكن أي منهما عرضة في الماضي لأضطهاد أو من ضحايا العنف، ولم يحدث -ذات مرة- أن أبدى أي منهما اهتماما ببرامج سياسية وأيديولوجيات. ورغم ذلك فقد اعتبرا العنف أمرا طبيعيا، كيف استطاع كرامر وتأيلو -الذان أمرا بقتل عشرات الآلاف من

محمد الحماصبي
كاتب مصري

إن موطن العنف هو مكان آخر يختلف عن موطن السلام، من يطأه يصبح شخصا آخر، فالعنف لا يدع أحدا دون أن يمسه، ولا أحد يستطيع الفرار من قهره، إنه ديناميكي ويغير كل العلاقات الاجتماعية وفق شروطه.

انطلاقا من هذه الرؤية يأتي كتاب يورج بابرؤفسكي "العنف والإنسان.. كيف يؤثر العنف على البشر ويعد تشكيل حياتهم" كاشفا ومحللا للكثير من جرائم الحرب التي هي ذروة العنف.

مملكة الظلام

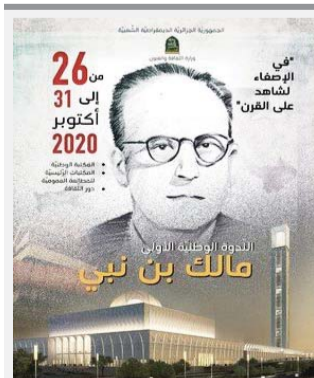
يوضح بابرؤفسكي في كتابه، الذي ترجمته علا عادل إلى العربية وصدر أخيرا عن دار صفصافة، أنه قضى "أكثر من خمسة عشر عاما منشغلا بفضائع الحكم الستاليني العنيف، وقد علمته هذه التجربة أن البشر قادرين على كل شيء عندما يتحركون في نطاق لا يكون العنف فيه ممنوعا بل متاحا، كما أقتنعت التجربة بأن الإنسان لا يعرف شئنا عن تأثير العنف إذا لم يبركه على أنه حدث دموي. وبلغت الكاتب إلى أنه قد قضى سنوات طويلة من حياته يبحث عن إجابة لسؤال ما يفعله الناس في حالة العنف؛ وكيف يشكل العنف الناس؛ أيا كان ما يحدث فالعنف دائما يصبح مملكة "الظلام غير القابل للاختراق".

بعد الفعلة تأتي ساعة التبرير، فالجنحة أنفسهم يوارون أصل العنف وفحواه لأنهم يسوقون دوما أسبابا لجرائمهم

ويؤكد بابرؤفسكي أن العنف يغير كل شيء، ومن يتعرض له يصبح شخصا آخر، فمعايشة العنف شأنها شأن رحلة إلى عالم جديد، حيث تسود قواعد أخرى ويعيش أشخاص آخرون، في هذا العالم تحيد المعايير عما هو طبيعي، فما يظن أن يعتبره الناس بديها يبدو في ضوء العنف غريبا بطريقة نادرة، وما هو غير

الجزائر تفتح إرث المفكر مالك بن نبي

ويعتبر مالك بن نبي (1905 - 1973) من أهم المفكرين في العالم الإسلامي في القرن العشرين حيث تخصص في مفاهيم "مشكلات الحضارة" و"قضايا الاستعمار" و"الثقافة" و"الفكر الإسلامي" و"شروط النهضة" وقد عرف خصوصا بفكرته الشهيرة "القبالية للاستعمار".



الندوة تبرز مكانة ابن نبي بقراءة منتجه ومعادلته في المسائل الراهنة، خاصة ما تعلق بالثقافة وقضاياها

الجزائر - تنظم وزارة الثقافة والفنون الجزائرية من 26 إلى 31 أكتوبر الجاري عبر مختلف المحافظات الندوة الوطنية الأولى "مالك بن نبي" إحياء لتراث هذا المفكر الذي ترك إرثا كبيرا ما زال وهجه يضيء العقول، حسب بيان الوزارة. وتحت عنوان "في الإصغاء لشاهد على القرن" ستقام هذه الندوة بالمكتبة الوطنية والمكتبات الرئيسية للمطالعة العمومية ودور الثقافة عبر المحافظات و"وفاء للذاكرة الثقافية للجزائر وإحياء لرموزها"، وهذا بحضور متدخلين ومحاضرين ودارسين لفكر ابن نبي. وجاء في البيان أن "جيل مالك بن نبي قدم الكثير باختياره الخصوصية الثقافية ودفاعا عن الشخصية الجزائرية الأصيلة ولحفظ الذاكرة الثقافية الوطنية"، مضيفا أنه "من المهم أن نصغي لاسم من الأسماء التي صنعت الاختلاف وقدمت المساءلات للوقائع واستشرفت بأدواتها المستقبل وتركت إرثا كبيرا ما زال وهجه يضيء العقول". ويتابع البيان أن "مالك بن نبي رجل عابر للثقافات"، ومن هذا الباب قررت وزارة الثقافة أن "يكون التعبير عن مكانة الراحل ابن نبي بقراءة منتجه ومعادلته في المسائل الراهنة خاصة ما تعلق بالثقافة وقضاياها".

الجزء الثاني من فيلم «بورات» نقد ساخر لأميركا

عجيب للغاية حينما أعلنت هذه الدولة أنني عدوها الأول، فالأمر بمجمله كوميدي ليس أكثر".

الفيلم مصور بطريقة وثائقية ويقدم رواية متسقة ومتناسكة تتخللها مشاهد غير متوقعة في قالب كوميدي ساخر

وحول الجزء الجديد من الفيلم قال كوهين لصحيفة نيويورك تايمز في نهاية الأسبوع الماضي "هدفي هنا لم يكن فضح العنصرية ومعاداة السامية. الهدف هو إضحاك الناس، لكننا تكشف عن الإنزلاق الخطير نحو الاستبداد". ويعتبر الفيلم عودة من قبل كوهين إلى عالم الشائسة الكبيرة، إذ بعد نجاح الجزء الأول من الفيلم احترف الممثل إجراء مقالب بأشخاص عابدين أو مشاهير من خلال تادية شخصيات مختلفة، من مغني الراب المزعوم "علي جي" مرور بالمدعي النمساوي برنوت. وفي 2018، طبق هذه الفكرة في برنامج تلفزيوني بعنوان "هو إيز أميركا" أثار فضيحة خصوصا لوضعه شخصيات سياسية مختلفة في مواقف محرجة.

تخفيف القيود المتصلة بوباء كوفيد - 19 في الولايات المتحدة، وفق ما أعلنه موقع "ديلاين" المتخصص. وفي الجزء الثاني من فيلم "بورات"، الذي سيرعرض على منصة أمازون برايم بدءا من يوم الجمعة، يعود بارون كوهين إلى شخصية الصحافي الكازاخستاني بورات ساجدييف الذكوري العنصري الذي يسافر مرة أخرى إلى أميركا. تدور أحداث الفيلم الكوميدي في جزئه الأول، الذي أنتجته شركة "فوكس" الأميركية، حول بورات المذيع التلفزيوني الكازاخستاني الذي يتم إرساله إلى الولايات المتحدة لإعداد

وقالت مجلة فارايتي إن الفيلم يقدم "رواية متسقة ومتناسكة تتخللها مشاهد مشينة وغير متوقعة". وجرى الكشف عن عدد محدود من مفاجات الفيلم قبل الإصدار، لكن النقاد قالوا إنها تشمل اقتحام كوهين لمؤتمر سياسي وهو يرتدي زي ترامب، وإقامته في الحجر الصحي بسبب فايروس كورونا مع أعضاء من مجموعة "كيو. إيه. نون" المؤمنة بنظريات المؤامرة، وزيارته لعيدة إجهاض. وواجه كوهين بعد عرض الجزء الأول نقدا كبيرا ليس من الأميركيين فحسب، بل طالته كذلك احتجاجات عنيفة من الحكومة الكازاخستانية، واتهمه الكازاخستانيون بتشويه سمعتهم، وقال آنذاك "كنت في موقف

لنحذ - في عام 2006 سبب فيلم "بورات" صدمة في العالم بهجومه الساخر واللاذع على الولايات المتحدة الأميركية، وقد حقق الفيلم نجاحا استثنائيا حيث فاقت إيراداته 260 مليون دولار. كما رشح للفوز بجائزة أوسكار عن فئة أفضل سيناريو. والآن يعود بطل الفيلم الممثل الكوميدي البريطاني ساشا بارون كوهين في جزء ثان مصور بأسلوب الفيلم الوثائقي انقسمت بشائنه آراء النقاد قبل أسبوعين من الانتخابات الأميركية. وقد صورت تيمة "بورات" هذا الصيف مع فريق مصغر فور



كوميديا جريئة